إنجيل يوحنا

الاصحاح الخامس : الشفاء والموعظة

مقدمة عن الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا

- في هذا الإصحاح يبدأ يوحنا بالكشف عن سلطان المسيح الإلهي.
- تبدأ الأحداث بمعجزة شفاء مريض بيت حسدا، الذي ظل عاجزًا لمدة 38 عامًا، في إعلان عن النعمة الإلهية المجانية.
- يُظهر المسيح أنه لا ينتظر دعوة من الإنسان، بل يسعى بنفسه إلى خلاصه.
- ينتهي الإصحاح بحوار لاهوتي عميق يعلن فيه المسيح:
  - ✓ مساواته بالآب
  - ✓ سلطانه كديّان وواهب للحياة
  - ✓ شهادات تؤكد ألوهيته
- من هذا الإصحاح تبدأ معارضة اليهود للمسيح تتصاعد بسبب عمله يوم السبت، مما يُهيئ للأحداث اللاحقة في الإنجيل.

موضوعات الاصحاح الخامس من إنجيل يوحنا

(1) شفاء مفلوج عند بِركة بيت حسدا
(يو 5: 1 - 9)

(2) مُعضلة يوم السبت
(يو 5: 10 - 18)

(3) يسوع يشرح طبيعة علاقته بالآب
(يو 5: 19 - 30)

(4) شهادات عن حقيقة يسوع
(يو5: 31 – 47)

أولاً: شفاء مريض مفلوج عند بِركة بيت حسدا (يو 5: 1 - 9)

(1) بِرْكَة بَيْت حِسْدَا

1 وَبَعْدَ هذَا كَانَ عِيدٌ لِلْيَهُودِ، فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

- بعد معجزة شفاء ابن خادم الملك، صعد يسوع إلى أورشليم لحضور عيد يهودي (الرأي الأقوى أنه عيد الفصح، أو قد يكون عيد الخمسين).
- لم يُذكر اسم العيد لأن التركيز كان على خدمة يسوع للنفوس وتبشيره، لا على العيد ذاته.
- صعود يسوع يعكس التزامه بالناموس اليهودي، حيث كان الرجال مدعوين للصعود إلى أورشليم في الأعياد.
- استغل يسوع تجمع الجموع ليُعلن الحق ويقدّم الشفاء الروحي والجسدي.
- عبارة "عيد لليهود" تُشير إلى أن الأعياد اليهودية فقدت طابعها الإلهي بعد صلب المسيح.
- أصبح الفصح رمزًا للصليب، وبمجيء المسيح بطل الرمز.
- يسوع، أقنوم الحكمة المتجسد، صعد إلى أورشليم ليلتقي بالناس في حالة استعداد روحي، وقد قدّم نفسه كشافٍ حقيقي، يخلق خليقة جديدة، ويمنح الراحة الحقيقية التي يرمز إليها السبت والعيد.

2 وَفِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الضَّأْنِ بِرْكَةٌ يُقَالُ لَهَا بِالْعِبْرَانِيَّةِ «بَيْتُ حِسْدَا» لَهَا خَمْسَةُ أَرْوِقَةٍ.

- "باب الضأن" هو أحد أبواب أورشليم القريبة من الهيكل، سُمّي بذلك لأن الخراف كانت تُجلب منه للذبائح.
- بركة "بيت حسدا" تعني "بيت الرحمة"، وكانت بركة كبيرة (طولها نحو 100 متر، عرضها بين 50–70 مترًا).
- البركة كانت محاطة بخمسة أروقة (دهاليز مسقوفة) تُستخدم كصالات انتظار للمرضى الباحثين عن الشفاء.
- كانت تُستخدم في البداية للتطهير الناموسي، ثم تحولت إلى مكان استشفاء بعد ظهور تحريك الماء.
- الأروقة الخمسة ترمز إلى أسفار موسى الخمسة (الناموس)، وتُشير إلى عجز الناموس عن الشفاء الحقيقي.
- مجيء المسيح هو الذي أتمّ الشفاء، فالشعب كان بحاجة إلى رحمة إلهية لا إلى طقس فقط.
- الاكتشاف الأثري للبركة وأروقتها أكّد دقة رواية الكتاب المقدس وردّ على النقاد.
- البركة ترمز إلى المعمودية في العهد الجديد، التي تقدم شفاء دائمًا للروح والجسد.

3 فِـي هـذِهِ كَـانَ مُضْطَجِعًا جُمْهُورٌ كَثِيـرٌ مِـنْ مَرْضَـى وَعُمْـــيٍ وَعُـــرْجٍ وَعُسْـمٍ، يَتَوَقَّعُونَ تَحْرِيكَ الْمَاءِ.

- في الأروقة الخمسة كان هناك جمهور كبير من المرضى: العميان، العرج، والعُسم (المصابون بالشلل أو تيبس المفاصل).
- هؤلاء المرضى يُمثلون حال البشرية قبل مجيء المسيح، في تيه روحي يُشبه تيه بني إسرائيل 38 سنة.
- كانوا ينتظرون تحريك الماء من أجل الشفاء، رمزًا إلى الرجاء بالخلاص.
- تحريك الماء يرمز إلى الماء الحي الذي يمنحه المسيح، كما في حديثه مع السامرية ونيقوديموس. كما يشير إلى عمل الروح القدس الذي يطهر الخطايا، ويُجدد القلوب، مانحًا خليقة جديدة بالمعمودية.
- الناموس (المُمثل في الأروقة الخمسة) يُظهر الخطايا لكنه لا يشفيها، وهذا يبرز الحاجة إلى نعمة المسيح، كمصدر للشفاء الحقيقي.

4 لأَنَّ مَلاَكًا كَانَ يَنْزِلُ أَحْيَانًا فِي الْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ الْمَاءَ. فَمَنْ نَزَلَ أَوَّلًا بَعْدَ تَحْرِيكِ الْمَاءِ كَانَ يَبْرَأُ مِنْ أَيِّ مَرَضٍ اعْتَرَاهُ.

- كان ملاكٌ ينزل في أوقات معينة – يُرجّح أنها في الأعياد الكبرى – ليُحرّك ماء البركة، فيُشفى أول من ينزل بعد تحريكه من أي مرض كان فيه. هذا الحدث يُعد تدخّلًا إلهيًا في العهد القديم، يُجسّد رحمة الله التي يشير إليها اسم المكان: بيت حسدا (بيت الرحمة).
- تحريك الماء يحمل رمزية روحية عميقة؛ فهو سبق رمزي للمعمودية، حيث يعمل الروح القدس على تطهير الإنسان وشفائه روحيًا وجسديًا. كما أن الملاك يرمز إلى المسيح، الطبيب السماوي، الذي يرسل الروح القدس ليُطهر القلوب ويغفر الخطايا.
- الشفاء الذي ناله شخص واحد فقط يُشير إلى أن الشفاء الحقيقي والكامل لا يُمنح للجميع دفعة واحدة، بل يُعطى في إطار وحدة الكنيسة التي تنال الخلاص في المسيح.
- أما تحريك الماء فيُشير أيضًا إلى آلام المسيح، التي هي ينبوع الخلاص، ويمثل في الوقت ذاته الماء الحي في سر المعمودية، الذي يُطهر ويُجدد النفس، على عكس الماء الراكد العاجز عن إزالة القاذورات.

(2) شفاء مريض بَيْت حِسْدَا

5 وَكَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ بِهِ مَرَضٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً.

- كان هناك رجل مصاب بالشلل لمدة 38 سنة، وهي مدة طويلة ترمز إلى تيه البشرية الروحي، وتُذكرنا بتيه بني إسرائيل في البرية قبل دخول أرض الموعد. هذا المرض المزمن يُجسد حالة العجز واليأس التي يُعانيها الإنسان تحت عبء الخطية، إذ يفقد القدرة على الحركة والنهوض الروحي.
- اختار القديس يوحنا أن يُبرز هذه المعجزة ليؤكد لاهوت المسيح، وقدرته الفائقة على شفاء أقسى حالات الإنسان، مهما بدت مستعصية أو استمرت لفترات طويلة. فهي شهادة على أن المسيح قادر على التجديد الكامل، حتى بعد عقود من السقوط والخطيئة.
- أما الرقم 38، الذي هو 40 ناقص 2، فيحمل دلالة رمزية: فهو يُشير إلى نقص المحبة لله والقريب، العنصرين الأساسيين في وصايا الناموس. وبهذا يكون الإنسان مريضًا روحيًا إلى أن تأتي نعمة المسيح فتُكمّل هذا النقص، وتُعيد له الحياة.

6 هذَا رَآهُ يَسُوعُ مُضْطَجِعًا، وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ زَمَانًا كَثِيرًا، فَقَالَ لَهُ: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟»

- يسوع، الطبيب السماوي، رأى الرجل المقعد وعرف أنه مريض منذ زمن طويل. لم ينتظر أن يُطلب منه الشفاء، بل بادر بالكلام معه، مُظهرًا المبادرة الإلهية في افتقاد الإنسان المحتاج.
- سؤاله: "أتريد أن تبرأ؟" لم يكن عن جهل برغبة المريض، بل جاء ليُوقظ فيه الإيمان والرجاء، ويُظهر أن الخلاص يتطلب إرادة الإنسان الحرة واستعداده للتجاوب مع نعمة الله.
- هذا السؤال لا يُوجّه للمريض وحده، بل هو نداء موجه إلى كل نفس، يدعوها إلى ترك الخطية والسعي نحو الشفاء الروحي.
- المعجزة تُجسد رحمة الله غير المحدودة، التي تبحث عن المكسورين والبائسين، خاصة أولئك الذين بلا معين ولا رجاء. وهي أيضًا إعلان واضح أن المسيح جاء ليشفي الخليقة كلها، ويجددها بنعمته.

7 أَجَابَهُ الْمَرِيضُ: «يَا سَيِّدُ، لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ يُلْقِينِي فِي الْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ. بَلْ بَيْنَمَا أَنَا آتٍ، يَنْزِلُ قُدَّامِي آخَرُ».

- أجاب الرجل المقعد بوداعة وانكسار، كاشفًا عن عجزه ووحدته، إذ لم يكن له من يساعده للوصول إلى البركة عند تحريك الماء. كلماته تُعبر عن حالة الإنسان الخاطئ، الذي يميل أحيانًا إلى تبرير ذاته بلوم الآخرين، لكنها في الوقت ذاته تكشف عن رجاء خفي في الشفاء.
- المسيح، بحنانه ومبادرته، يعوّض غياب المعين البشري، ويُقدّم نفسه كالطبيب الحقيقي والبلسان الشافي، القادر أن يمدّ يده حين يفشل البشر.
- هذه الآية تُبرز حقيقة هامة: أن الاعتماد على الناس قد يخيب، لكن التوكل على الله لا يُخيب أبدًا، بل هو طريق مضمون إلى الخلاص.
- كما تحمل دعوة ضمنية لكل مؤمن: أن نكون معينين للمحتاجين، حتى لا يكون بيننا من يشتكي قائلًا: "ليس لي إنسان."

8 قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ».

9 فَحَالًا بَرِئَ الإِنْسَانُ وَحَمَلَ سَرِيرَهُ وَمَشَى...

- أمر المسيح الرجل المقعد قائلًا: "قم، احمل سريرك وامش"، وهو أمر يحمل سلطانًا إلهيًا، إذ تحقق الشفاء فورًا، دون حاجة إلى ماء البركة أو علاج تدريجي. هذه القوة الفائقة تُعلن قدرة المسيح المطلقة على الشفاء والتجديد.
- كل من الأوامر الثلاثة يحمل رمزية روحية عميقة:
  - ✓ "قُم" تشير إلى جدة الحياة والنهوض من موت الخطية.
  - ✓ "احمل" ترمز إلى قوة الحياة الجديدة التي تُعين الإنسان على حمل ما كان يومًا يثقله.
  - ✓ "امشِ" تعني السلوك في طريق الله والسير بثبات في الإيمان.
- أما حمل السرير، الذي كان رمزًا للمرض والشلل، فيُعبّر عن اكتمال الشفاء، ويُشير إلى التحرر من الماضي المؤلم والاتجاه نحو الله بقوة ونعمة.

9 .... وَكَانَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ سَبْتٌ.

- وقعت المعجزة في يوم السبت، لتُعلن أن المسيح هو رب السبت، وأن كل أيامه للخلاص والرحمة. كما تُظهر كيف أن المحبة تتجاوز الحرفية في فهم الناموس، موجّهة النظر إلى الهدف الإلهي من الوصايا: خلاص الإنسان.
- هذه المعجزة تُعد أيضًا رمزًا للمعمودية، حيث يقوم المؤمن من الشلل الروحي إلى حياة جديدة، حاملًا صليب المسيح، لا كألم، بل كعرش للخلاص والانتصار.

تطبيقات

- **حدّد مجال شفائك:**
  - ✓ اسأل نفسك بصدق: في أي جانب من حياتي أحتاج لمسة شفاء من المسيح؟
  - ✓ اكتب ذلك في بداية الأسبوع، وراجع التغيير بنهاية كل أسبوع.
- **درّب نفسك على الرجاء:**
  - ✓ استبدل التذمر بالإيمان: في كل مرة تميل فيها للشكوى أو لوم الآخرين، صلِ، قل: "المسيح يعطيني قوة اليوم".
  - ✓ طبّقها يوميًا لمدة 7 أيام، وسجّل مدى التغيير في طريقة تفكيرك.
- **كن معينًا لشخص محتاج:**
  - ✓ خُذ خطوة عملية: ساعد مريضًا، أو شجّع شخصًا متعبًا هذا الأسبوع. ولاحِظ الأثر في حياة الآخر وحياتك أنت.

ثانيًا: مُعضلة يوم السبت
(يو 5: 10 - 18)

(1) استياء اليهود وتجاهلهم للمعجزة

10 فَقَـــالَ الْيَهُـــودُ لِلَّـــذِي شُـــفِيَ: «إِنَّـــهُ سَبْتٌ! لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَحْمِلَ سَرِيرَكَ».

11 أَجَـــابَهُمْ: «إِنَّ الَّذِي أَبْرَأَنِي هُوَ قَالَ لِـي: احْمِـلْ سَـرِيرَكَ وَامْشِ».

- اتهم الرؤساء الدينيون (اليهود) المقعد الذي شُفي بكسر السبت لحمله سريره، متمسكين بحرفية الناموس (خر20: 8 ، إر17: 21) التي تمنع حمل الأشياء الثقيلة في السبت، متجاهلين قوة المعجزة وعمل الرحمة الإلهي.
- هذا الاتهام يكشف حسدهم وعماهم الروحي، كما تنبأ إرميا (إر5: 21)، إذ نسوا الشافي وتمسكوا بالحرف الخالي من روح الله، مما يدنس سبتهم ببغضهم للمسيح.
- إجابة الرجل الذي شُفي تؤكد برّ المسيح وحنوه، إذ أطاعه لثقته بقداسته، مشيرًا إلى أن من يملك هذا السلطان لا يمكن أن يكون كاسرًا للناموس، بل منفذًا له بالمحبة العملية.
- المسيح، رب السبت (مر2: 28، لو6: 5)، جاء ليمنح راحة جديدة (عب4: 10) تفوق الراحة الجسدية، مؤكدًا أن فعل الخير، كالشفاء، جائز في السبت (يو7: 23).
- وهكذا، فضح الرب سوء فهمهم، إذ قيدوا السبت بحرفية ميتة، بدل أن يروه فرصة لإعلان محبة الله وراحته الحقيقية للإنسان.

12 فَسَأَلُوهُ: «مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الَّذِي قَالَ لَكَ: احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟»

- سؤال اليهود: "من هو الإنسان؟" يحمل سخرية واستخفافًا بالمسيح، إذ يضعونه كمجرد إنسان مقابل الله واضع الناموس، متجاهلين قوة المعجزة.
- هذا السؤال يكشف مكرهم، إذ ركزوا على اتهام كسر السبت بدلاً من الاعتراف بالشفاء العجيب.
- عماهم الروحي منعهم من رؤية مراحم الله، كما يمنع البعض من رؤية حكمته في التجارب.
- المسيح حاول أن يوضح أن فعل الخير، كالشفاء أو الختان، جائز في السبت (مر3: 4، لو14: 3 - 6)، لكنهم، بدافع الحسد لشهرته، سعوا لإدانته بدلاً من الإيمان به.

(2) التعرف على المسيح

13 أَمَّا الَّذِي شُفِيَ فَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ، لأَنَّ يَسُوعَ اعْتَزَلَ، إِذْ كَانَ فِي الْمَوْضِعِ جَمْعٌ.

- لم يعرف الرجل المقعد هوية يسوع، لأن المسيح اعتزل سريعًا وسط الجمع، متجنبًا لفت الأنظار إليه، مما يعكس تواضعه ورفضه للمجد البشري (يو5: 41). هذا التصرف يُظهر طبيعة المسيح الرحيمة، الذي يقدم العطاء سرًا دون سعي للشهرة.
- جهل المقعد بشخص يسوع يرمز إلى ميل الإنسان للتركيز على العطية (الشفاء)، دون التعمق في معرفة العاطي (المسيح نفسه). وهذا يدعونا نحن أيضًا إلى أن نطلب وجه المسيح لا يده فقط، وأن تكون علاقتنا به شخصية وعميقة.
- القديس أغسطينوس يشير إلى أن رؤية المسيح الحقيقية تتطلب العزلة والتأمل، بعيدًا عن ضوضاء الجمع والانشغالات، وأن اللقاء الحقيقي مع الرب يتم في "الهيكل" - أي في القلب النقي والمكرس لله.

14 بَعْدَ ذلِكَ وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: «هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ، فَلاَ تُخْطِئْ أَيْضًا، لِئَلاَّ يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ».

- التقى يسوع بالمقعد في الهيكل (حيث سُمح له لأول مرة بعد الشفاء)، حيث ذهب الأخير غالبًا ليشكر الله على شفائه، مما يظهر استجابته الأولية للنعمة. حديث المسيح معه يكشف ثلاثة معانٍ:

1) الخطية كسبب المرض: عبارة "لا تخطئ أيضًا" تشير إلى أن مرضه الطويل (38 سنة) كان نتيجة خطية سابقة، عرفها المسيح بلاهوته. هذا يؤكد أن بعض الأمراض قد تكون تأديبًا إلهيًا للرجوع إلى الله (مز107: 17 – 19).
2) أهمية الشكر والثبات: على الإنسان أن يتذكر مراحم الله ويشكره، متجنبًا العودة إلى الخطية التي تركها، لأن الثبات في النعمة أصعب من اقتنائها (الشهيد كبريانوس).
3) تحذير من عقوبة أشد: يحذر المسيح من أن العودة إلى الخطية بعد الشفاء تعرّض الإنسان لعقوبة أعظم، قد تكون مرضًا أشد أو حتى دينونة أبدية. فنعمة الشفاء ليست فقط للجسد، بل دعوة لتجديد الحياة.يسوع، الذي شفى الجسد، أراد أن يشفي النفس من الخطية، ويوجّه الإنسان لينظر إلى أعماقه ويعيش حياة جديدة بلا رجوع.

15 فَمَضَى الإِنْسَانُ وَأَخْبَرَ الْيَهُودَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الَّذِي أَبْرَأَهُ.

- ذهب الرجل الذي شُفي وأخبر اليهود أن يسوع هو الذي شفاه. قد يكون فعل ذلك لأحد سببين:
  - محاولة لتبرئة النفس: ربما أراد تبرئة نفسه من تهمة كسر السبت خوفًا من عقوبة الناموس، فوَجَّه اللوم غير المباشر إلى من أمره بالحمل - أي المسيح.
  - شهادة للمعجزة: أو ربما قصد الشهادة بقوة المعجزة، لعل اليهود يؤمنون بالمسيح.
- وفي كلتا الحالتين، لم يُظهر ثباتًا في الإيمان، بل ضعفًا أمام ضغط السلطات الدينية، إذ فضّل إرضاءهم على التمسك برسالة المسيح.
- رغم ذلك، لم يُلقِ اللوم على يسوع، بل أشار إليه كشافٍ حقيقي، وهو ما أدى إلى تصاعد العداء من اليهود تجاه المسيح ⇐

(3) حديث المسيح عن السبت

16 وَلِهـذَا كَـانَ الْيَهُـودُ يَطْـرُدُونَ يَسُوعَ، وَيَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُـوهُ، لأَنَّـهُ عَمِـلَ هـذَا فِـي سَبْتٍ.

- أظهر اليهود (القادة الدينيون) كراهية شديدة للمسيح بسبب شفاء المقعد في يوم السبت، متجاهلين عظمة المعجزة ومتمسكين بحرفية الناموس.
- لم تكن غيرتهم على السبت صادقة، بل كان الحسد والحقد دافعًا رئيسيًا لاضطهادهم للمسيح، ما يكشف عن طباعهم المعادية للخلاص.
- هذه الآية تمثل بداية سلسلة من المحاولات المتكررة لقتل يسوع، لكنها لم تنجح، لأن ساعة صلبه لم تكن قد جاءت بعد (يو7: 30).
- هذا يثبت أن يسوع سلّم نفسه بإرادته الحرة، مختارًا أن يواجه أعداءه في توقيت الفداء المعيّن من الآب (يو10: 18).

17 فَأَجَـــابَهُمْ يَسُـوعُ: «أَبِـي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ».

- ردّ المسيح على اتهام الفريسيين بكسر السبت يكشف عن حقيقة لاهوتية عميقة، وهي أن الآب يعمل باستمرار لحفظ الخليقة وتدبيرها، حتى في يوم السبت؛ إذ لو توقف عن العمل، لتوقفت الحياة بأسرها (عب 1: 3).
- راحة الله ليست سكونًا أو كسلًا، بل عمل محبة دائم لخلاص الإنسان، كما يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين بلا تمييز (مت 5: 45).
- والمسيح، بصفته الكلمة (اللوغوس)، يشارك الآب في هذا العمل الإلهي، إذ هو مساوٍ له في الجوهر والسلطان، وبالتالي له الحق في تحديد ما يُفعل في السبت.
- إن شفاء المسيح في السبت لم يكن خرقًا للناموس، بل استكمالًا لعمل الخليقة الذي أفسدته الخطية، في إشارة واضحة إلى الفداء، الذي يحقق للإنسان الراحة الحقيقية والأبدية (عب 4: 10–11).
- قوله: "أبي يعمل وأنا أعمل" ليس مجرد تصريح، بل تأكيد لوحدته مع الآب ومساواته له، وليس مجرد تبعية (يو 10: 30).
- وقد لخّص القديس أغسطينوس هذه الرؤية بقوله إن السبت الروحي هو الامتناع عن الخطية، وأن راحة الله الحقيقية تتحقق عندما يستقر الإنسان فيه نقيًا ومفتدى.

18 فَمِنْ أَجْلِ هذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضًا إِنَّ اللهَ أَبُوهُ، مُعَادِلًا نَفْسَهُ بِاللهِ.

- فهم اليهود من كلام المسيح أنه لا يكتفي بكسر السبت، بل يُلغي قدسيته علنًا، ويجعل نفسه مساويًا لله، حين قال: "أبي يعمل وأنا أعمل"، مستخدمًا تعبيرًا يونانيًا يُفهم منه أبوة خاصة (ἐμὸς πατὴρ = أبي أنا)، لا أبوة عامة، مما اعتبروه تجديفًا يستحق الموت (لا24: 16).
- المسيح لم يتراجع عن هذا التصريح، بل ثبّت إعلانه لسلطانه الإلهي، مؤكدًا أنه واحد مع الآب في الجوهر والعمل، مما زاد من غضب اليهود وحقدهم عليه.
- الاتهامان الرئيسيان اللذان وُجّها له – كسر السبت والتجديف – لم يكونا عن سوء فهم، بل عن رفض متعمد لسلطان المسيح الإلهي، رغم أنهم أدركوا قصده بوضوح (يو10: 30).
- يعلّق القديس أمبروسيوس على هذا قائلًا إن المسيح مساوٍ للآب في اللاهوت، أما ما يبدو تبعية في قوله: "الآب أعظم مني" (يو14: 28) فهو من جهة الناسوت، لا اللاهوت، ولا ينفي وحدتهما الإلهية.
- هكذا، يُظهر عمل المسيح في السبت قوة الحب الإلهي ومقاصد الفداء، بينما يكشف تمسك اليهود الحرفي بالناموس عن جهل روحي وكراهية خفية للحق.

تطبيقات

- **تعلّم التمييز بين روح الناموس وحرفيته:**
  - ✓ راجع هذا الأسبوع موقفًا اتخذته أو حكمًا أصدرته، واسأل نفسك: هل غلبت فيه الرحمة أم التمسك الحرفي؟
  - ✓ اكتب مثالًا أسبوعيًا في مفكرة وتأمل فيه ليلًا.
- **مارس الشكر الخفي والعلني على عطايا الله:**
  - ✓ خصّص دقيقة كل صباح لشكر الله على نعمة محددة (شفاء – ستر – فرصة)، وشاركها مع عائلتك خلال الأسبوع بشهادة شخصية بسيطة.
  - ✓ سجّل 3 نِعَم في نهاية كل أسبوع.
- **اتخذ موقفًا واضحًا مع الحق ولو في وجه رفض أو هجوم:**
  - ✓ فكّر في موقف تتردد فيه في إعلان إيمانك أو الحق بدافع الخوف أو الإرضاء، وخذ خطوة واحدة فيه خلال هذا الأسبوع (شهادة – دفاع – صمت نبيل).
  - ✓ راجع الموقف في نهاية الأسبوع واسأل: هل أرضيت الله أم الناس؟
- **نمِّ علاقتك الشخصية بالمسيح لا بالعطايا فقط:**
  - ✓ خصص وقتًا يوميًا (حتى 5 دقائق) لتأمل في شخصية المسيح وليس فقط عطاياه.
  - ✓ اكتب كل أسبوع صفة من صفاته أثّرت فيك.

ثالثًا: يسوع يشرح طبيعة علاقته بالآب
(يو 5: 19 - 30)

(1) لاهوت الابن

19 فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ.

- يشرح المسيح في هذا العدد وحدته مع الآب في الجوهر، وذلك في ردّه على اتهام اليهود له بالتجديف. فقد بيّن أن ما يعمله، إنما يعمله بما يراه من الآب، لا كمقلّد، بل كشريك كامل.
- عبارة "لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئًا" لا تعني العجز، بل تشير إلى استحالة انفصال إرادته عن إرادة الآب، بسبب الوحدة الجوهرية بينهما (يو10: 30).
- قوله "ما يراه الآب يعمله، ذلك يعمله الابن كذلك" يدل على أن الابن يرى كل أعمال الآب، لأنه هو كلمته الأزلي وحكمته، كما قال بولس الرسول: "المسيح قوة الله وحكمة الله" (1 كو1: 24).
- هذا الإعلان يفنّد اتهام كسر السبت، إذ لا يمكن أن يخالف الابن مشيئة الآب، لأن الابن يعمل ما يعمله الآب بنفس الكيفية.
- القديس أغسطينوس يوضح هذا الاتحاد بمثال بسيط: كما أن القلب واليد يكتبان خطابًا معًا دون انفصال، هكذا يعمل الآب والابن في وحدة مطلقة دون افتراق.

20 لأَنَّ الآبَ يُحِبُّ الابْنَ وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ، وَسَيُرِيهِ أَعْمَالًا أَعْظَمَ مِنْ هذِهِ لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ.

- محبة الآب للابن، الواردة بصيغة الحاضر المستمر في النص اليوناني، تؤكد على العلاقة الدائمة وغير المنقطعة بين الآب والابن. هذه المحبة هي أساس وحدتهما في الجوهر والمشيئة، إذ يُظهر الآب للابن "جميع ما يعمله"، ما يدل على معرفة الابن الكاملة وغير المحدودة (يو1: 18).
- قوله: "ويريه أعمالاً أعظم من هذه" يشير إلى معجزات قادمة تفوق ما شاهده اليهود حتى الآن، مثل إقامة لعازر من الموت (يوحنا 11)، والأعظم منها: قيامة المسيح نفسه، التي ستكون ذروة الإعلان الإلهي، ومع ذلك، لم يؤمن بها كثير من اليهود (يو12: 37).
- القديس يوحنا الذهبي الفم يعلّق على هذه المحبة بأنها تعكس وحدة الجوهر الإلهي، وأن "الأعمال الأعظم" تؤكد سلطان الابن الكامل والمتساوي مع الآب، وليس مجرد تفويض أو إذن.

ملخص: يسحبنا السيد في إجابته على اليهود إلى عمق اللاهوتيات بالتدريج، موضحًا هذه العلاقة السرية بين الآب والابن في الجوهر الواحد، مثبتًا لاهوته من خلال:

1. عدم الانفصال	2. وحدة المشيئة	3. وحدة القدرة	4. وحدة الحب
فإذا كان الكلمة قد أخذ جسدا إلا أنه، من خلال الجوهر الإلهي، في اتصال دائم مع الآب، ناظرا ومطلعا على كل ما يفعله، فالاثنين واحد.	فلا يقدر الابن أن تكون له إرادة منفصلة في العمل عن إرادة أبيه، لأنهما واحد في الجوهر	في أن كل ما يفعله الآب، يفعله الابن أيضا، فهو لا يقل شيئًا عن الآب في القدرة، لأنه واحد معه في المشيئة وعدم الانفصال.	في انفتاح الآب على الابن بكل الحب، حتى أن الابن يعرف كل أسرار الآب وأعماله ومقاصده. وهذا دليل على لاهوت الابن أيضا، الذي لا بُد أن يتمتع بعلم ومعرفة غير محدودة، ليدرك كل أعمال الله ومقاصده.

21 لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ الأَمْوَاتَ وَيُحْيِي، كَذلِكَ الابْنُ أَيْضًا يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ.

- يُعلن المسيح بوضوح سلطانه الإلهي على الحياة والموت، مؤكدًا لاهوته ومساواته الكاملة للآب.
- هذه العبارة الفاصلة تميز المسيح عن الأنبياء، مثل إيليا وأليشع، الذين أقاموا موتى بواسطة الصلاة واستجابة الله، لا بسلطان شخصي مباشر (راجع مثلًا 1 مل 17: 21-22، و2 مل 4: 33-35).
- أما المسيح، فسلطانه ذاتي: "لي سلطان أن أضعها، ولي سلطان أن آخذها أيضًا" (يو10: 18). لا يطلب قوة من الخارج، لأنه هو مصدر الحياة ذاته، كما أعلن في سفر الرؤيا: "ولي مفاتيح الموت والهاوية" (رؤيا 1: 18).
- وقد تجلّى هذا السلطان في معجزات محددة، مثل:إقامة ابنة يايرس (مر5: 35-42)؛إقامة الشاب ابن أرملة نايين (لو7: 11-17)؛وأعظمها: إقامة لعازر بعد أربعة أيام (يو11: 43-44).
- يرى القديس أمبروسيوس أن قدرة الابن على الإحياء، كما للآب، هي دليل قاطع على ألوهيته، لأن من يهب الحياة لا يمكن إلا أن يكون أزليًا، إلهًا حقيقيًا، لا مخلوقًا.

22 لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ،

- يُعلن المسيح بكل وضوح أنه هو الديّان الوحيد، وهي صفة إلهية لا تُمنح إلا لله، كما يظهر في مشهد الدينونة الأخير الذي قال فيه: "ومتى جاء ابن الإنسان في مجده... فيجلس على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب" (مت25: 31-46). هذا الإعلان يؤكد ألوهية المسيح وسلطانه الأبدي على مصير البشر.
- "الآب لا يدين أحدًا، بل قد أعطى كل الدينونة للابن"، لا لأن الآب تنقصه القدرة على الدينونة، بل لأن الابن، بتجسده، اشترك في طبيعتنا البشرية وعرف ضعفها من دون أن يخطئ، لذلك هو الديان العادل القادر على الحكم برحمة وحق (عب4: 15).
- عبارة "كل الدينونة" تشمل جميع البشر وجميع الأزمنة، وتؤكد سلطان المسيح المطلق على الخليقة كلها. وهذا ما أعلنه بطرس صراحةً: "هو المُعيّن من الله ديانًا للأحياء والأموات" (أع10: 42).
- يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم بأن تسليم الآب الدينونة للابن لا يعني التنازل عن السلطان، بل يؤكد وحدتهما في الجوهر والسلطان، كما يعبّر عن ولادة الابن الأزلي من الآب، أي أن ما يفعله الابن هو عين ما يفعله الآب.

23 لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ.

- يؤكد المسيح أن إكرام الابن مساوٍ تمامًا لإكرام الآب، مما يثبت بوضوح لاهوته ووحدته مع الآب في الجوهر والمقام. من يرفض إكرام الابن، يرفض في الحقيقة الآب نفسه، لأن الابن ليس مجرد مرسل بشري، بل هو صورة الآب غير المنظور وظهوره الكامل في الجسد (يو14: 9).
- قول الكتاب على لسان النبي: "الآن السيد الرب أرسلني وروحه" (إش 48: 16) يُظهر أن إرسال الابن لا يعني الانفصال، بل تعبير عن وحدة المشورة الإلهية في الثالوث، كما يشرح القديس أغسطينوس: الابن من الآب كما الشعاع من الشمس – لا انفصال بل ولادة دائمة في وحدة الجوهر.
- إكرام الابن ليس تفضيلًا شخصيًا أو طلبًا للمجد البشري، بل دعوة إلهية للخلاص، لأن من يعرف الابن، يعرف الآب أيضًا (يو17: 3).
- المعرفة الحقيقية هي شركة محبة واتحاد بالحق، وليست مجرد فكر أو معلومة.
- يفرّق القديس يوحنا الذهبي الفم بين إكرام الرسل، الذين يُكرَّمون كرسل للآب والابن (مت 10: 40)، وبين إكرام الابن، الذي يُكرم إكرام الله الذي هو من جوهر الآب، مما يرفع إكرامه فوق كل إكرام بشري.

(2) سلطان الابن

24 «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ.

- يؤكد المسيح أن الحياة الأبدية تُمنح لمن يؤمن بالآب ويطيع الابن، لأن كلام الابن هو ذات وصية الآب (يو12: 50). فالعبارة: "يسمع كلامي" لا تعني مجرد الاستماع، بل تعني قبول يسوع كـ"كلمة الله" المتجسد (يو1: 1)، والعمل بتعاليمه، وهذا ما يقود إلى حياة التوبة والخلاص.
- حين يقول: "لا يأتي إلى دينونة"، يؤكد النجاة من الهلاك الأبدي بفضل فداء المسيح (رو8: 1)، فالذي يؤمن لا يُدان، لأنه تغطَّى ببرّ المسيح. وهذا الإيمان الفعّال ينتج تحولًا جذريًا، كما في تعبيره: "انتقل من الموت إلى الحياة" – وهو انتقال يبدأ بالمعمودية، التي هي موت وقيامة مع المسيح (رو6: 3-4)، ويُستكمل بالسير في حياة التوبة والنمو في النعمة (أف2: 1).
- يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن أسلوب المسيح المتواضع في هذا الحديث كان يقصد به جذب اليهود تدريجيًا لقبول لاهوته، إذ ربط بين كلامه وكلام الآب، مؤكّدًا وحدتهما.

25 اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ، حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ.

- القول: "الآن" يشير إلى القيامة الروحية الحاضرة، التي تحدث من خلال التوبة وقبول كلمة المسيح بالإيمان، وهي تختلف عن القيامة الجسدية المستقبلية المشار إليها في (يو5: 28).
- أما "الأموات"، فهم الذين ماتوا بالخطية، كما قال عن الابن الضال: "كان ميتًا فعاش" (لو15: 24). هؤلاء الأموات يسمعون صوت المسيح بالإيمان، فيحيون داخليًا (أف5: 14).
- هذا التعليم يتناغم مع نداء الله في العهد القديم: "في وقت القبول استجبتك" (إش49: 8)، ويُعيده بولس مؤكدًا: "هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم خلاص" (2 كو6: 2). فهي دعوة إلى التوبة الآن، لا لاحقًا.
- يشرح القديس أغسطينوس أن هذه القيامة الروحية الحاضرة هي تمهيد لقيامة الجسد في المجيء الثاني، حيث يكمُل الخلاص.

26 لأَنَّــهُ كَمَــا أَنَّ الآبَ لَــهُ حَيَـاةٌ فِـي ذَاتِـهِ، كَـذلِكَ أَعْطَـى الابْــنَ أَيْضًــا أَنْ تَكُونَ لَـهُ حَيَـاةٌ فِـي ذَاتِهِ،

- تُظهر هذه الآية بوضوح لاهوت المسيح، إذ أن امتلاك الحياة الذاتية ـ أي غير المُستمدة أو المخلوقة ـ هي صفة إلهية تخصّ الله وحده. وقد أُعلن أن الابن يمتلكها كما الآب (يو1: 4).
- تعبير "أعطاه أن تكون له حياة في ذاته" لا يدل على نقص أو تسلسل زمني، بل، بحسب القديس أغسطينوس، تشير كلمة "أعطى" إلى الولادة الأزلية، أي أن الابن مولود من الآب منذ الأزل، وله نفس الجوهر والحياة (يو10: 30).
- فالحياة ليست ممنوحة له كخليقة، بل هي جوهره الإلهي.
- هذا يثبت أن المسيح هو مصدر الحياة، ليس فقط كواسطة، بل كمانح فعلي قادر أن يحيي من يشاء، مثلما أكد سابقًا (يو5: 21).
- يُعلق القديس يوحنا الذهبي الفم بأن استخدام كلمة "أيضًا" يُبرز المساواة التامة بين الآب والابن في الجوهر والقدرة.

27 وَأَعْطَـــــاهُ سُلْطَانًا أَنْ يَدِينَ أَيْضًا، لأَنَّـهُ ابْنُ الإِنْسَانِ.

- سلطان الدينونة، وهي صفة إلهية بامتياز، قد أُعطي للابن بسبب تجسده كابن الإنسان، كما تنبأ دانيال (دا7: 13-14).
- هذا التجسد لا ينتقص من لاهوته، بل يؤهله ليكون ديّانًا عادلًا، لأنه شارك البشرية في طبيعتها، لكنه بلا خطية (عب4: 15).
- فهو لم يأتِ فقط كديّان، بل أيضًا كشفيع قدم ذاته لأجل فداء البشرية، إذ "هو أيضًا الذي يشفع فينا" (رو8: 34).
- يشرح القديس أمبروسيوس هذه العلاقة اللاهوتية قائلًا: المسيح يدين كابن الله لكونه واحدًا مع الآب في السلطان، لكنه يمارس الدينونة كابن الإنسان، حتى يظهر عدله الكامل ورحمته المُجربة في الجسد.

28 لاَ تَتَعَجَّبُوا مِنْ هذَا، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ،

29 فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ.

- تتحدث الآيات عن القيامة الجسدية التي ستقع في المجيء الثاني للمسيح، حيث يسمع جميع الناس صوته بوضوح (1 تس4: 16).
- أما عبارة "فعلوا الصالحات" فتشمل الإيمان الحقيقي بالمسيح والأعمال التي تثمر عن عمل الروح القدس في حياة الإنسان (يو3: 21).
- في المقابل، "عملوا السيئات" تعبر عن رفض الإيمان والأعمال الشريرة التي تصدر عن القلب المتمرد (رو2: 6-10).
- يشير القديس أغسطينوس إلى أن القيامة الروحية (كما في الآية 25) هي مقدمة لقيامة الجسد في اليوم الأخير، وأن الأعمال التي نقوم بها تحدد مصير الإنسان النهائي بين الحياة أو الهلاك.

30 أَنَــا لاَ أَقْــدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَــا أَسْــمَعُ أَدِيــنُ، وَدَيْنُــونَتِي عَادِلَــةٌ، لأَنِّـــي لاَ أَطْلُـــبُ مَشِـيئَتِي بَـلْ مَشِـيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي.

- تكرر الآيات تأكيد وحدة المسيح مع الآب كما ورد في (يو5: 19)، حيث تعبير "لا أقدر" يشير إلى استحالة انفصال إرادة الابن عن إرادة الآب (يو 4: 34).
- أما عبارة "كما أسمع أدين" فتعبر عن معرفة الابن الكاملة لمشيئة الآب، مما يجعل دينونته عادلة ومطابقة لإرادة الله (إش48: 16).
- يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن المسيح هنا يوضح أنه هو الابن الذي ذُكر سابقًا في الكتابات، مؤكداً بذلك لاهوته وبنوته الأزليتين.

ملخص الآيات 17 – 30:

- المسيح جاء ليشفِي ويُعلن محبة الآب للبشر (17).
- المسيح يعمل في السبت مثل الآب، فلا يتوقف عمل الله (17).
- هناك تطابق تام في الفكر والإرادة بين المسيح والآب (19).
- عمل الآب هو إحياء البشر ومنع موتهم، وأرسل الابن لهذا الهدف (21).
- الابن يمنح الحياة لمن يؤمن به ويتحد معه، ومن يرفضه يحكم على نفسه بالهلاك (22).
- إكرام الابن مساوي لإكرام الآب (23).
- الإيمان بالابن هو إيمان بالآب ويؤدي للحياة الأبدية (24).
- الدعوة إلى التوبة والوحدة مع الابن تمنح الحياة (25).
- المسيح له الحياة بذاته وله القدرة على إعطاء الحياة (26).
- من لا يقبل الابن لا ينال الحياة، ويكون تحت سلطة الدينونة (27).
- الحياة تبدأ هنا مع التوبة وتمتد إلى الأبد (29).
- الآن ليس وقت الدينونة، لأن إرادة الابن والآب واحدة، وهو يجمع الكنيسة جسد المسيح (30).

تطبيقات

- **تناغم الحياة مع إرادة الله:**

✓ خصص وقتًا يوميًا للصلاة والتأمل لطلب هداية الله في قراراتك وأفعالك، ساعيًا لأن تكون إرادتك متوافقة بالكامل مع مشيئة الله، كما هو المثال في وحدة الابن مع الآب في العمل والمحبة.

- **الالتزام بكلام المسيح:**

✓ قيم مدى تطبيقك لتعاليم المسيح يوميًا، واعمل على عيش وصاياه بصدق ووضوح في سلوكك وأفكارك.

- **الفرصة الآن للتوبة والتغيير:**

✓ لا تؤجل التوبة أو التغيير؛ اجعل "الآن" نقطة انطلاق لخطوة إيمان جديدة نحو حياة أبدية مع الله.

رابعًا: شهادات عن حقيقة يسوع
(يو5: 31 – 47)

(1) شهادة يوحنا المعمدان

31 «إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقًّا.

- يبدأ المسيح بالرد على شكوك اليهود من داخل منطقهم الديني، الذي ينصّ في الناموس على أن شهادة الإنسان لنفسه لا تُقبل وحدها (تث19: 15).
- عندما يقول: "إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقًا"، لا ينكر صدق شهادته الإلهية (يو8: 14)، بل يستخدم منطقهم البشري ليزيل عذرهم ويقطع اعتراضهم.
- فكمُعلن عن ذاته كابن الله، شهادته حقيقية بطبيعتها الإلهية، لكنه بحكمة وتواضع يقدّم شهودًا آخرين بحسب طلبهم، ليقودهم إلى الإيمان دون أن يفرض سلطانه.
- القديس يوحنا الذهبي الفم يوضح أن هذا الأسلوب المتواضع لا ينفي لاهوته، بل هو جزء من محبته وتدبيره، إذ سبق وأكّد في موضع آخر صدق شهادته الذاتية.

32 الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ الَّتِي يَشْهَدُهَا لِي هِيَ حَقٌّ.

- "الآخر" الذي يشير إليه المسيح هو الآب، الذي يشهد للابن بشهادة أزلية مستمرة (بصيغة المضارع في الأصل اليوناني). هذه الشهادة الإلهية لا يمكن أن يُشك فيها، إذ تتجلى في:
  - ✓ النبوات (يو5: 39)،
  - ✓ الأعمال العجيبة التي عملها الابن (يو5: 36)،
  - ✓ أحداث بارزة مثل العماد (مت 3: 17) والتجلي (مت17: 5).
- المسيح يعلم يقينًا صدق هذه الشهادة بسبب وحدته الأقنومية الكاملة مع الآب (يو10: 30).
- القديس أغسطينوس يرى أن شهادة الآب هي نور إلهي لا يُقارن بأي شهادة بشرية، وهي تفيض على المؤمنين لإدراك لاهوت الابن.

33 أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمْ إِلَى يُوحَنَّا فَشَهِدَ لِلْحَقِّ.

34 وَأَنَا لاَ أَقْبَلُ شَهَادَةً مِنْ إِنْسَانٍ، وَلكِنِّي أَقُولُ هذَا لِتَخْلُصُوا أَنْتُمْ.

35 كَانَ هُوَ السِّرَاجَ الْمُوقَدَ الْمُنِيرَ، وَأَنْتُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْتَهِجُوا بِنُورِهِ سَاعَةً.

- بعد أن أشار المسيح إلى شهادة الآب، ذكر شهادة يوحنا المعمدان، الذي كانت له مكانة مرموقة في أعين اليهود (يو1: 19-27). فقد أعلن بوضوح أن المسيح هو "حمل الله" (يو1: 29). ومع ذلك، أوضح المسيح أنه لا يعتمد على شهادة إنسان لتثبيت لاهوته، لكنه استحضر شهادة يوحنا من أجل خلاصهم، كي يصدّقوا ويؤمنوا به (يو20: 31).
- القديس يوحنا الذهبي الفم يشير إلى أن شهادة يوحنا كانت من الله، لكن المسيح استخدمها كجسر لجذب اليهود إلى الإيمان، وليس كضرورة ذاتية له.
- ثم يصف المسيح يوحنا بأنه "سراج موقد منير"، في إشارة إلى غيرته الروحية ونقاوته (مز132: 17).
- القديس أغسطينوس يرى في يوحنا السراج الذي أُعدّ ليضيء الطريق نحو المسيح، النور الحقيقي (يو1: 9).
- أما "ساعة" فترمز إلى الفترة الوجيزة التي قَبِل فيها اليهود يوحنا وفرحوا بنوره (حوالي 6 أشهر)، قبل أن ينقلبوا عليه ويُسجن (لو7: 24-30).
- هنا يكرم المسيح يوحنا كشاهد أمين، لكنه يوبخ اليهود على تقلبهم وضعف ثباتهم في اتباع الحق.

(2) شهادة الآيات والأعمال

36 وَأَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا، لأَنَّ الأَعْمَالَ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ لأُكَمِّلَهَا، هذِهِ الأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي.

- تُبرز هذه الآية أن أعمال المسيح ـ من معجزات وتعاليم ومحبّة فائقة ـ تشهد له كشاهدٍ أعظم من يوحنا المعمدان (يو10: 25؛ 14: 11). هذه الأعمال تشمل شفاء المرضى، إقامة الموتى، وطرد الشياطين، وهي إعلان ملموس لقوة المسيح الإلهية ووحدته الكاملة مع الآب (يو15: 24؛ 10: 37-38).
- تعبير "أعطاني الآب" لا يدل على نقص في الابن، بل يعبّر عن إعلانه لما لا يُرى، إذ يظهر مشيئة الآب في أعمال منظورة (يو3: 35؛ 17: 4). فالآب يُريد، والابن يُنفّذ، في اتحاد أقنومي تام (1 كو1: 24).
- قوله "لأكملها" يُظهر التزام الابن الكامل بإتمام رسالة الخلاص، حتى نهايتها، كما أعلن على الصليب: "قد أُكمل" (يو19: 30).
- في هذا السياق، يوضح القديس يوحنا الذهبي الفم أن تركيز المسيح على الإرسالية من الآب هو تمهيد لقبول اليهود للاهوت الابن من خلال إيمانه برسالته أولًا.

(3) شهادة الآب

37 وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ،
38 وَلَيْسَتْ لَكُمْ كَلِمَتُهُ ثَابِتَةً فِيكُمْ، لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ هُوَ لَسْتُمْ أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِهِ.

- تشير هذه الآيات إلى أن شهادة الآب للابن تتجلى من خلال الكتاب المقدس، خاصةً في نبوات العهد القديم التي تنبأت بمجيء المسيح (تث18: 15-18)، ومن خلال الصوت الإلهي في المعمودية والتجلي (مت3: 17؛ 17: 5)، وكذلك من خلال أعمال المسيح التي تظهر قدرته الإلهية (يو8: 16-18).
- المسيح، بصفته كلمة الله (يو1: 1)، هو صوت الآب وصورته المنظورة (يو14: 9). من يقرأ الأسفار بإيمان نقي وأمانة روحية، يكتشف حضور المسيح فيها، لأن معرفته تقود حتمًا إلى معرفة الآب.
- ومع ذلك، فإن اليهود - رغم معرفتهم بالكتاب - لم يؤمنوا بالمسيح، لأن قلوبهم كانت مغلقة، وتركّزوا على البر الذاتي أكثر من البحث عن الله الحقيقي (عب10: 25).
- تعبير المسيح: "لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته" يشير إلى عمى قلوبهم الروحي، إذ رفضوا أن يروا الآب في الابن (يو10: 30).
- أما عبارة "ليست لكم كلمته ثابتة" فتعكس عدم ترسخ النبوات في قلوبهم، كما وصفها الكتاب بأنها أصبحت عادة سطحية لا تثمر (مز119: 11).
- يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن شهادة الآب كانت واضحة في نهر الأردن، بينما القديس أغسطينوس يحذر من تصور الله بشكل جسدي، داعيًا إلى البحث عنه بالقلب.

(4) شهادة الكُتب المقدسة

39 فَتِّشُوا الْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي.

- يُبكّت المسيح اليهود على قراءتهم السطحية للكتب المقدسة، إذ ظنّوا أن الحياة الأبدية تُنال بمجرد حفظ النصوص أو تلاوتها حرفيًا، دون إدراك أن هذه الكتب تشير إليه شخصيًا (لو24: 27).
- كلمة "فتشوا" تعني البحث الجاد والعميق (2 بط1: 17-21)، لأن الكتب مليئة بالنبوات الواضحة عن المسيح (1 بط1: 10-11).
- ومع ذلك، فقد انشغل اليهود بالمظاهر الدينية والمعرفة العقلية، حتى في تطبيق وصايا مثل وضع الكلمات الإلهية في "المازوزا" (تث6: 6-8)، إذ فعلوها بدافع الافتخار والتقليد، لا من إيمان حي.
- يُشير المسيح إلى أن هذا التفاخر المعرفي (يو5: 44) عاقهم عن رؤية الهدف الحقيقي للكتاب: معرفته شخصيًا والسعي إليه بقلب تائب.
- يُشبّه القديس يوحنا الذهبي الفم دعوة المسيح هنا بعملية تنقيب عن كنز؛ فالنصوص تحتاج إلى الغوص فيها لاستخراج كنوزها الروحية. ويضيف القديس غريغوريوس النيسي أن الكلمة المقدسة لا تُفهم إلا بفحص روحي وتأمل داخلي.

40 وَلاَ تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ.

- يُظهر المسيح أن رفض اليهود له لم يكن عن جهل، بل عن إرادة حرة رافضة، إذ تجاهلوا جوهر الكتب التي تدعو للإيمان به كمانح للحياة الأبدية (1 يو2: 1). ورغم معرفتهم النظرية، لم يأتوا إليه بإخلاص، لأن قلوبهم طلبت مجد الذات لا مجد الله (يو5: 44).
- يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن المسيح يدعوهم للاتحاد به كمصدر الحياة، لكنهم رفضوه بسبب تحجّر قلوبهم. بينما داود اختبر الحياة لأنه أحب الرب من كل قلبه (مز34: 8)، نجد أن سليمان، رغم حكمته، ابتعد عن الله بسبب انشغاله بالمعرفة فقط، فاختبر الفراغ والكآبة.

(5) أسباب عدم الإيمان

41 «مَجْـــدًا مِـــنَ النَّاسِ لَسْتُ أَقْبَلُ،
42 وَلكِنِّـــي قَـــدْ عَـرَفْتُكُمْ أَنْ لَيْسَـتْ لَكُـمْ مَحَبَّـةُ اللهِ فِـي أَنْفُسِكُمْ.

- يرفض المسيح المجد البشري كما سبق ورفض شهادة الناس (يو5: 34)، لأن مجده نابع من اتحاده بالآب (أف1: 17). هو لا يسعى لتمجيد ذاته، بل لهدف خلاصي هو إيمان البشر به.
- يوضح القديس يوحنا الذهبي الفم أن المسيح يتحدث بهذا الأسلوب ليُسكت اتهام اليهود بأنه يسعى لمجد أرضي أو سلطة زمنية.
- يكشف المسيح أن غياب محبة الله في قلوب اليهود هو سبب رفضهم له (يو15: 24-25). لو أحبوا الله بصدق، لاكتشفوا صورته في المسيح (مز34: 8). لكن انشغالهم بمجد ذواتهم وإعجاب الناس بهم (مز25: 15) أعماهم عن رؤية الله في ابنه.
- يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن رفض اليهود للمسيح ليس مجرد تجاهل، بل نتيجة لعداوة داخلية لله.

43 أَنَا قَدْ أَتَيْتُ بِاسْمِ أَبِي وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَنِي. إِنْ أَتَى آخَرُ بِاسْمِ نَفْسِهِ فَذلِكَ تَقْبَلُونَهُ.

44 كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟

- جاء المسيح باسم الآب، متحدًا به ومعلنًا مشيئته (يو10: 30)، لكن اليهود رفضوه لأنهم كانوا يتوقعون مسيحًا يتماشى مع كبريائهم وأوهامهم الدنيوية.
- يُحتمل أن يكون المقصود بـ"آخر" هم المسحاء الكذبة أو ضد المسيح الذي سيأتي في آخر الزمان، الذين يقبلهم اليهود لأنهم يعكسون رغباتهم البشرية (مت24: 5).
- يرتبط هذا الرفض بسبب ثانٍ جوهري، هو سعي اليهود إلى المجد البشري بدلًا من مجد الله (1 كو1: 31). انشغالهم بتمجيد بعضهم بعضًا أضعف تمجيدهم لله، فلم يتمكنوا من رؤية عظمة الله في شخص المسيح.
- يحذر القديس جيروم من أن طلب المجد الباطل هو أحد أهم عوائق الإيمان الحقيقي، مؤكدًا أن تمجيد الله وحده هو الطريق إلى المعرفة الروحية.

45 «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي أَشْكُوكُمْ إِلَى الآبِ. يُوجَدُ الَّذِي يَشْكُوكُمْ وَهُوَ مُوسَى، الَّذِي عَلَيْهِ رَجَاؤُكُمْ.
46 لأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي، لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي.
47 فَإِنْ كُنْتُمْ لَسْتُمْ تُصَدِّقُونَ كُتُبَ ذَاكَ، فَكَيْفَ تُصَدِّقُونَ كَلاَمِي؟»

- المسيح لا يُدين اليهود في مجيئه الأول، لأنه جاء ليُخلّص لا ليقضي (يو3: 17)، بل يترك الدينونة للناموس الذي يعتمدون عليه، وبالتحديد لموسى، الذي يظنون أنه شفيعهم. موسى نفسه سيشهد عليهم، لأنهم خالفوا وصاياه ورفضوا المسيح الذي تنبأ به بوضوح (تث18: 15-19).
- بهذا، يُظهر المسيح تواضعه ويكشف زيف اتهامهم له بكسر السبت، كما أوضح القديس يوحنا الذهبي الفم.
- كتابات موسى مملوءة بالنبوات والرموز عن المسيح (تث18: 15؛ رؤ19: 10)، وكان الإيمان الحقيقي بموسى يقود حتمًا للإيمان بالمسيح. لكن اليهود تمسكوا بالحرف دون روح الناموس، فعموا عن رؤية أن المسيح هو مركز الشريعة وغايتها (2 كو3: 15).
- يشير الذهبي الفم إلى أن تحجر قلوبهم منعهم من الإيمان، على عكس تلاميذ المسيح البسطاء الذين قبلوا الحق بتواضع.
- اختُتم حديث السيد المسيح بصمت تام من المعارضين، إذ لم يجدوا ما يردون به. ورغم تراجعهم عن الاتهام في الخفاء، ظلت قلوبهم قاسية، تترقب بصمت فرصة جديدة للإيقاع به.

ملخص أسباب عدم الإيمان:

1) محبة الله غير حاضرة في قلوبهم (يو5: 42): لم يكن في داخلهم شوق حقيقي لله، بل مجرّد تمسك بالظاهر دون حب لله.
2) رفض المسيح لأنه لا يوافق توقعاتهم البشرية (يو5: 43): رفضوا المسيح لأنه جاء باسم الآب لا بحسب تصوراتهم الذاتية، بينما كانوا مستعدين لقبول "آخر" يمجّد كبرياءهم.
3) طلب المجد البشري بدلًا من مجد الله (يو5: 44): كانوا يتفاخرون أمام الناس ويطلبون المدح المتبادل، مما أفقدهم التواضع اللازم للإيمان.
4) عدم الإيمان الحقيقي بكتابات موسى (يو5: 45 – 47): رغم ادّعائهم التمسك بموسى، فإنهم لم يؤمنوا بما كتبه، إذ تنبأ عن المسيح، وبالتالي فرفضهم له كشف زيف إيمانهم.

تطبيقات

- **اطلب تأكيد الله لا الناس:** لا تبنِ إيمانك أو دعوتك على شهادة البشر فقط، بل اسعَ لتمييز صوت الله من خلال كلمته وعمله في حياتك.
- **دع أعمالك تشهد لك:** اجعل حياتك اليومية تعكس علاقة حقيقية بالله من خلال المحبة، الأمانة، وخدمة الآخرين، لأن الأعمال تكشف صدق الإيمان.
- **اقرأ الكتاب بروح التلمذة:** لا تكتفِ بالحفظ أو الفهم النظري؛ ابحث عن المسيح في كل ما تقرأ، وطبّق ما تتعلمه عمليًا في سلوكك اليومي.
- **تجنّب السعي وراء المجد البشري:** راقب دوافعك، هل تخدم وتمارس التقوى لتنال مديح الناس أم لتُمجّد الله؟ درّب نفسك على العمل في الخفاء.
- **نقِ قلبك لمحبة الله:** اجعل محبة الله هي القوة الدافعة لك، لا الرغبة في السيطرة أو الظهور، لأن المحبة الحقيقية تقود للإيمان والطاعة.
- **اربط معرفتك بالعمل:** لا تجعل معرفتك الروحية تقتصر على الفكر أو المظهر، بل اربطها بتغيير داخلي يظهر في قراراتك وسلوكك اليومي.

موضوعات مُختارة
من يوحنا ؟

1. العقيدة في يوحنا 5

العقيدة	الشاهد	الشرح
لاهوت المسيح	• يو5: 18 – 19 • يو5: 21 ، 26 • يو5: 22، 27	• المسيح مساو للأب • المسيح واهب الحياة • سلطان الدينونة للمسيح
التثليث	يو5: 23	وجوب إكرام الابن كإكرام الآب
القيامة والدينونة	يو5: 28 - 29	إعلان واضح عن القيامة العامة ودينونة الأبرار والأشرار